ديوان «أوراق وأعماق» لمحمد علي التسخيري

الرؤية التاريخية بلغة شعرية

الدكتور عبد المجيد زراقط*

في زمن مضى، كانت الثقافة العربية الإسلامية الثقافة السائدة، إن لم نقل الوحيدة، في البلدان الإسلامية جميعها. يمتلكها مثقفو هذه البلدان، فتسهم في تشكيل شخصياتهم، ويصدرون في إنتاجهم عن واقعهم، وهي مكوِّن أساس من مكوناته، ينهون في إثرائها وتطورها، ولم يكن من حائل يحول دون الاتصال بين هذا البلد وذاك، فالوحدة الثقافية كانت قائمة على الرغم من تعدد الدول والأعراق واللغات... وفي تقديري أنه لم يبق من نماذج لذلك الاتصال – التفاعل– سوى ما يحدث الآن في بعض الحواضر الإسلامية، أو في حوزاتها، ومنها النجف وقم.

وفي زمن تلا، في العصر الحديث، حدث قطع حاد وسريع، وقد اتخذ هذا القطع منحيين أولهما قطع بين مثقفي هذه البلدان، أحدهما بالآخر؛ وثانيهما قطع مع التراث الثقافي، وقد تزامن هذا القطع مع اتصال بالغرب، يقوم به كل بلد على حدة، ما أدى إلى أن يتشكل في كل بلد مسار مستقل. وقد بدا واضحاً أننا، في كل بلدٍ إسلامي (العرب، والفرس، والترك وسواهم...) نعرف عن إنجازات الثقافة الغربية القديمة والحديثة أكثر مما نعرف عن إنجازات هذا البلد الإسلامي أو ذاك، في مختلف مجالات الثقافة، وخصوصاً في المجال الأدبي.

وكنّا على الدوام، ندعو المؤسسات المعنية القادرة على العمل من

* أستاذ الأدب العربي في الجامعة اللبنانية.

أجل إنهاء هذه القطيعة المعرفية من طريق وسائل الاتصال الكثيرة، ومنها الترجمة، والتأليف، والمؤتمرات والاتفاقات بين المؤسسات الثقافية...، ويمكن الإفادة من وسائل الاتصال الحديثة، فتستحدث مواقع للشعر والرواية والقصة والأدب الموجّه للأطفال...، على سبيل المثال.

ولما وقع ديوان: «أوراق وأعماق»[1] للشيخ محمد علي التسخيري بين يدي، عدت إلى ذلك الزمن، زمن الاتصال والإنتاج، فالشاعر الفارسي التسخيري يواصل من نحو أول، اتصالاً تاريخياً لم يكن للمتابع مساره التاريخي أن يميّز بين عربي وفارسي وتركي... فالجميع يسهمون في تشكيل هذا المسار وفي تطوره، ويواصل من نحو ثانٍ تقليداً تاريخياً عرفه هذا المسار الذي تحدثنا عنه، وهو التقليد المتمثل بالسعي إلى أن يكون «العالم الموسوعي» هو المنتج في غير ميدان من ميادين المعرفة، والناشط في الوقت نفسه لأداء مهمة كبرى يمكن تسميتها «صناعة الثقافة»، وتوفير فرص إنتاجها، تحصيلها، وتقديمها إلى الآخر، فارسياً وعربياً...

نتعرف على عجل، إلى هذا العالم الموسوعي، ونتبيّن العوامل التي أسهمت في تكون شخصيته وبلورة رؤيته التي تمثلت في نصوص شعرية تضمنها هذا الديوان الذي بين أيدينا.

ولد الشيخ التسخيري في النجف الأشرف، مدينة من وصفه النبي الأعظم(ص) بـ«باب مدينة علم النبوة» حين قال: «أنا مدينة العلم وعلي بابها». إلى هذه المدينة يهاجر محبو النبي(ص) والإمام علي بن أبي طالب(ع) والعلم، ويتوحدون في هذا الحب، من مختلف الأعراق، ويجتهدون في مناخ علمي يتيح للعقل أن يتفتح ويتوقد، وللوجدان أن يتوهج، ويؤتي كلٌّ من العقل والوجدان ثماره.

في أسرة علمية نشأ، وفي ذلك المناخ العلمي تعلم، وتكونت في رحابه شخصيته التي لم تنفك عن النمو والتطور منذ أن بدت على الفتى اليافع علامات التميز، في ما يتميز به فتيان النجف الأشرف عادة، وهو صناعة الكلم قولاً وكتابة، في منحييها الشعري والعلمي.

ولم يكن السلطان الغاشم، الطاغية، بغافل عن هذا القبس الآتي من مدينة النور الحيدري، فحاول إخماده اضطهاداً وسخباً، وإذ لم يفلح أبعده إلى إيران، حيث كانت الثورة تتهيأ، فالتحق بصفوفها، ولم تلبث أن قامت وانتصرت...

وفي المراحل جميعها كان للشيخ دور، وكان للشعر دور، يتيح له أن يتنقل في فضاءات صُنع فيها التاريخ، في غار حراء، ومكة، والمدينة، وبدر، وجامع الكوفة، وكربلاء، وقم، وطهران...، وكربلاءات هذا الزمن في لبنان وفلسطين...

يتيح الشاعر رؤية للجوهري في الأمور، ويكشف للرائي الواقع وسبل الخلاص، ويشحن العزيمة بالوقود اللازم لاستمرار التحرك، في سبيل إنجاز التحول، كما القادة الأفذاذ في كل عصر، ولكل عصر قادته الذين ينجزون تحولاته في حركة مستمرة طوال الدهر، إلى أن يطل فجر الخلاص. هذه هي سنة أساس من سنن حركة التاريخ، يتبينها الرائي ويمضي لتحقيقها معتقداً بأن ما يقوم به هو واجب إطاعة يؤديه.

يجد العالم الموسوعي، المنتج في غير ميدان من ميادين المعرفة، والناهض بأداء مهمات «صناعة الثقافة»، نفسه إزاء الشعر في موقع يصفه الشيخ التسخيري نفسه عندما يقول عن الشعر: «**لا تركت الشعر ولم يتركني الشعر، يراودني في كل لحظة استرخاء، أو انفراد، وما اختليت وإياه في مكانٍ واحد إلا كان القلم ثالثنا...**»

وإن يكن الشعر وفياً، كما يضيف الشاعر، عصياً على الهجران، إلا أنه لم يف له بحقه، فسها عنه وغفل وتجاهله مراراً، ما أدى إلى ضياع قصاصات قصائده في أدراج المكاتب وملفات الأوراق، وصخب اللقاءات اليومية المزمنة.

وهكذا، كما يبدو، تتمثل إشكالية تعارض فعاليتين لدى العالم – الشاعر، أولاهما علمية، عملية، عقلية، وثانيتهما شعرية إبداعية، حدسية، وهذا التعارض يمكن ألاّ يُحل، فيبقى الشاعر العالم قلقاً متوتراً، لا يستطيع أن يمضي في طريق من الطريقين غير مثقل بأحمال الطريق الآخر، الأمر الذي يؤثر على مستوى إنتاج الفعاليتين معاً. ويمكن للتعارض أن يحل، فتُقمع فاعلية لحساب الفاعلية الأخرى. فإن تغلبت الفاعلية العلمية – العقلية يحدث أمران:

أولهما: يتخذ الشعر موقع «سقط المتاع» إن استخدمنا تعبير الشيخ عبد الحسين صادق عندما سمى ديوانه بهذا الاسم. والشعر من موقعه هذا يراود في حالات، فتؤتي الاستجابة للمراودة نصوصاً، يُحتفظ ببعضها ويفقد كثير منها، وهذا ما قاله الشيخ التسخيري عندما تحدث عن ضياع نصوصه، وقال: «**لم يبق لي إلا هذه الشواهد الشعرية القليلة، التي أرجو أن أكون قد وفيت بها لرفقة الشعر، ولرفاقي الشعراء**».

ثانيهما: يصدر نوع من الشعر يتصف بمزايا معينة على مستويي الموضوعات واللغة الشعرية التي تنطق بالرؤية إليها.

فالشعر الذي تبقى منه شواهد لدى العالم الشاعر، هو شعر العلماء، يرى الشاعر – العالم إلى موضوعات أثيرة لديه، وهي موضوعات دينية: سياسية اجتماعية في الغالب، تتمثل في بنية – لغة شعرية مشغولة ذهنياً في الغالب أيضاً، فالفاعلية العلمية – العقلية تمارس تأثيرها في هذا المجال.

وفي سبيل معرفة هذا النوع من الشعر، كما يتمثل في ديوان «أوراق وأعماق» نتوقف بداية، إزاء العنوان نفسه، يمثل هذا العنوان، كما يبدو ثنائية ضدية طرفها الأول الحضور – الأوراق، وطرفها الثاني الغياب – الأعماق، وقد نقول: إن طرفها الأول هو البيان وطرفها الثاني المعنى الخفي في داخل الذات، فالبيان هو ما يكشف المعنى الخفي، أو قناع المعنى، كما قال الجاحظ من قبل، فما تتضمنه الأوراق إذاً، هو ذلك المعنى الخفي، وقد كشف عنه القناع، وبدا جلياً واضحاً، فالعنوان يفيد أن ما في الأعماق – المعنى الخفي – يُسطّر على الأوراق شعراً، يكشف ما خفي ولم يظهر، فالأوراق هي لغة الأعماق، فماذا تقول هذه الأوراق؟

نحاول في ما يأتي الإجابة عن هذا السؤال:

يريد الشاعر، في قصيدة: «حوار»، حواراً مناسبته مولد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)؛ إذ إن الإنسان، في هذا اليوم يصطدم بحقيقته، فيولد السؤال والجواب. تتألف القصيدة من ثلاثة مشاهد، يسأل الإنسان في أولها:

«أين؟ أنّى؟ ومتى؟ أنّى أرى طيف النجاة».

يريد الإنسان النجاة من واقع يتمثل في ما يأتي:

«ملء أشواط الدنى
... رعب
وذئب
وشياه
تقتل الصرخة قلباً...
قد تشظى في نداه

ألف آه

ألف آه

في حشاها ألف آه»

وفي ثانيها، من هضاب تلة يلوح عرس الحقيقة، وهي تتغنى، وتجيب:

... أيها الإنسان...

يا هذي السواقي

الظامئات

ذي حقول الطهر... فامرح - إنها دنيا الهبات...».

وفي ثالثها، وعلى صعيد الحقيقة تلوح حقول الطهر ممثلة في أصول الدين. فيجيب التوحيد والعدل والنبوة، والإمامة والمعاد... ثم تعود الحقيقة لتقرر:

«فتحرر، أيها الإنسان، من ليل الهموم

هي دنيا أحمد فانعم

وبالنعمى تدوم

...هيا، أو فكن أنت الملوم

في ضياعٍ كنت فيه صارخاً:

أنّى النجاة!؟».

النجاة من ليل الهموم، ومن واقع تحكمه ثنائية الذئب - الشياه في «**دنيا أحمد**» هذا ما تقوله الحقيقة في الحوار الذي يدور بينها وبين الإنسان الباحث عن النجاة.

وفي قصيدة: «دنيا محمد»، وهي الدنيا التي تتحقق فيها النجاة، يخاطب الشاعر الرجاء:

«أسرج الشمس من الذرى، يا رجاء

فلقد أومأ الغد الوضاء»

وقد كان «ذاك العطاء» بعد أن تجلى الله في لوحة الغيب، ويخاطب الشاعر الأمة التي مزق الكفر روحها فراحت تقتاتها الأعداء، بأن تنهض:

«فانهضي

واهتفي

بكل انفتاح

ولد النور

والهدى

والعلاء... يا رفاق الطريق، فلنعقد العزم بجدّ...

كيما يعود النقاء».

وفي قصيدة «ضحكة الشروق» يعلو نداء للآتي من «غار حراء» لـ«يزرعنا في الأرض من جديد» ويطلب من الإنسان أن يحدق هناك؛ حيث مولد النور ليرى من

«أسرجه الخالق كي يعلم الإنسان

معالم الحياة في ظل سماء أسمها القرآن»

ثم يقرر: فالحل – نعم الحل – عند المسلم...».

وفي قصيدة «مهرجان الضوء»، يبدأ بتشكيل فضاء المهرجان من ثلاثة عناصر هي: الولاء، الطهر، والمنى. وفي ولاء الطهر وطهر الولاء ترقص المنى...، وتتحقق:

«من ولا الطهر

ومن طهر ولانا

رقصت في مسرح الذكرى

منانا»

يلاحظ في هذه المقطوعة التكرار، الذي يشكل الفضاء، وألفا اللين المتكررة كأنها الهتاف الذي يكشف بفرح هذا الفضاء، ويود أن يريه منسوباً إلى «نا». نحن الذين ذكر من قبل أن لديهم الحل، وهم أبناء «دنيا محمد». في هذا الفضاء يمشي الفرحون:

«ومشينا...

نعصر القلب طلا

لنروي شفة الشعر بياناً»

تلفت هذه العلاقة بين عصارة القلب طلا، التي تروي شفة الشعر ليكشف، وليبيّن الحقيقة، فما تنطق به شفة الشعر بعد أن ترتوي من عصارة القلب هو البيان في مناخ الطهر، وهذا جميعه أنبته الدين:

«بينما الكون جمود واجم

يعشق العتم

ويجتر الهوانا

إذ بنا...

والدين... قد أنبتنا

نزرع الأرض حقولاً وجنانا».

وقد استقت الحضارات هذا النبع، «فيبابٌ أرضها لو لا روانا...» وذلك يعود إلى الإسلام:

«بعث الإسلام فينا ثورة

سائل العلياء عنها والزمانا»

وهنا نلحظ تضميناً من شعر آخر، ويتكرر هذا التضمين وهذه المرة يتخذ شكل إشارات إلى آيات من القرآن الكريم، وذلك ليقرر حقيقة، نص عليها كتاب الله، يقول عن أهل البيت عليهم السلام:

«ولاهم سنة

رحمة كان ولاهم

وامتنانا

(إن تمسكتم)

بلغتم هديكم

فتمسكنا

فأعطينا هدانا

(لن تضلوا)

أحرف رائعة

قدمت للكون ضمانا...

آية التطهير وقف للأولى

مدت العليا

لعلياهم بنانا...»

وهكذا يمضي الشاعر كاشفاً ما يراه حقيقة، فالحل عند المسلم المتمسك بالقرآن الكريم، وبتعاليمه،... وبولاء الطهر الذي نصّت عليه «آية التطهير»، فالطهر الذي مثّل بداية للقصيدة وشكل فضاءها هو طهر إلهي لآل أعلن الهادي ولاهم سنة، ورحمة.

ويقرر الشاعر:

«أبداً لن نبصر النصر

إذا ما غفونا

عن هدى الرحمن آنا...».

ويقيم الشاعر ثنائية طرفها الأول «مهرجان الضوء» السابح في فضاء من الطهر الإلهي، والحب... والطافح بالولاء وبيانه عصارة قلب يخفق بالحب، وطرفها الثاني قبر معاوية «قبر معاوية» يقف عليه الشاعر، ويخاطبه:

«أيها الثاوي هنا في ذا المكان

قم وحدق من – ترى – حاز الرهان... لا تسلني

انكفأ الملك شجىً

راح يبكي التاج فيه الصولجان

... وبنى العدل علي، ومضى

يتحدى كل غارات الزمان

فاستحال الخلق والمجد له

في فم الحمد بذكراه لسان».

تكشف هذه الثنائية ما أفضى إليه مسار الزمان. إن لسان الزمان – التاريخ يقول: إن الطغيان ينكفئ، ويبقى ما بناه العدل خالداً، في فم الحمد على كل لسان، على الرغم من غارات الزمان.

وفي قصيدة «رعيل الحق» يصحب الشاعر هذا الرعيل إلى الإمام الحسن المجتبى(ع)، وهو يحدو:

«نوّر الفجر...

فيا دنيا ابسمي

فاض بالروح غدير النعم...

ايه، يا شاعر...

سر بي للعلى

للدوالي الخضر مهد الشمم

سر بنا...

لنرى السر

بقلب الحرم»

في فضاء «**نور الفجر**» ينادي الدنيا، ويطلب منها أن تبتسم؛ لأن «**غدير النعم**» فاض بالروح. فإن يكن «**غدير النعم**» دالاً على «**غدير خم**»، وهو كذلك، فإن الشاعر يواصل بيان رؤيته، ففي «غدير خم» أعلن رسول الله(ص): «**من كنت مولاه فعلي مولاه...**» فولاء الطهر ينص عليه في غدير خم، ولهذا يسمى غدير النعم ويفيض بالروح، ما يجعل الفجر ينادي: يا دنيانا ابتسمي. وإن يكن من سرّ في هذا، فالشاعر يطلب من صحبه السير ليرى السرَّ في «**الحرم**». ففي هذا المكان المقدس يكمن السر، وفي «**الحرم**» إشارات كثيرة تدل على فضائل «صاحب الغدير» (ع) وهي فضائل معروفة لا تخفى على أي مسلم وأي ملم بتاريخ الإسلام. ويحاور الشاعر التاريخ فيقول:

«قلت للتاريخ...

صف لي مجده».

فيقول التاريخ:

«يا صاح...

دنيا العظم

... طفت في دنيا الكمالات فلم

أر حسناً فيه لم يبتسم».

لكن مسار التاريخ أفضى إلى أن نعود:

«أمة خاوية

كخواء الطبل

أو كالورم...»

وهذا يناقض ما وُعد به رسل الرحمن من نصر...، لكن الرؤية العميقة تفيد ما يأتي:

«لن ينال المجد

في عليائه

غير كونٍ بالتقى معتصم».

فالتقى هو الآتي بالنصر في نص محكم، وكانت كربلاء سعي التقاة إلى النصر، وقد مثل هذا السعي نهجاً، يقول الشاعر في ذكراه، في قصيدة «**عفواً أبا الشهداء**»:

«ذكراك،
ذكرى الهادفين
متى دعوا
للحق... رجّوا عزمهم وتضرموا
جفلت خيول الدهر
إلا أنهم أبداً
تظل خيولهم تتقدم...».

وذلك يعود إلى مفهومهم للموت والحياة:

«ما الموت إلا نسمة قدسية
تبقى الحياة
بسرها تتنسم...».

وفي قصيدة: «مزار الحسين»، يخاطب الشاعر سيد الشهداء(ع)، وهو في الطريق إلى مقامه، في ذكرى استشهاده:

«يممت قبرك
والأسى موار
وعليّ من وضح الهداة
شعار...»

وفي خطابه تبرز ثنائية «الأسى» و«وضح الهداة»، ففي كربلاء حزن، وحزن عميق، وفيها في الوقت نفسه نهج هدى واضح، يجعل الشاعر يقرر بلسانه ولسان رافعي شعار التقاة:

«إن كنت لم أنصرك
حين تجمعت
فرق الضلال
يقودها غدار
فلقد أجابك
من فؤادي صارخ
لبيك

إني صارمٌ

سأظل

أحمل للرسالة مشعلاً

تمشي على لألائه الأعصار

ستظل في دمي العقيدة

تصطلي

حتى ترج الكون

تلك النار

ويقوم مهدي الورى

ونداؤه

اليوم يحلو للحسين الثار».

ويعود للتاريخ يسأله، ويدعه يصرخ قائلاً:

«خسر الألى

آمالهم إذ جاروا

ومضى أبو الشهداء

سراً خالداً

من مجده تتوقف الأنوار

وقد مد درباً للعلاء معبداً

تمشي على جنباته الأحرار...».

وهكذا نرى أن رؤية الشاعر تاريخية وليست آنية، فالتاريخ في مسار، تحدث فيه التحولات، وتعبَّد فيه الدروب، تتدفق الأنوار فيها، وفي جنباتها يمشي الأحرار، تصطلي في دمهم العقيدة، وتظل نار العقيدة متوهجة حتى يقوم مهدي الورى.

وفي قصيدة **«منية الكون»** في ذكرى مولد الإمام القائم عجل الله فرجه، يخاطب الشاعر الإمام المخلّص:

«ملأت بالحب آفاقي

وتكويني

فاطلع فداك الدُّنى يا روح ياسين»، ويطلع المخلّص؛ لأن:

«الحق متهضم والظلم محتدم

والعدل يرزح

في بؤسٍ

وفي هون...»

وفي سبيل الخلاص يغدو الموت حياة، أو حياة أخرى:

«لا أرهب الموت

في درب العلى أبداً

أليس بالموت تُلقى روعة العين».

وإذ يتخذ الموت هذا الموقع في حياة الإنسان وإذ يصبح له الدور، وإذ تكون الدرب معبدة واضحة، يمضي المؤمن التقي فيها ثائراً على الظلم، ولو كان يمشي في قلب الإعصار، في هذه القصيدة «الإعصار» يسرح الفكر بعيداً في سويعات السحر، يواكب الثورة الإسلامية منذ انطلاقتها، ويعيش معها بكل آلامها وآمالها، ويتابع خطاها وضحاياها، وينتهي إلى حيث تقف على قمم العصور.

كان الناس قبل الثورة في بؤس «يلعقون الهم آه...»، ولا يملكون سوى الدعاء:

«عفوك ما ذنب العباد... عفوك اللهم

ما نفعل؟»

ويأتي نداء:

«آه

يا صحبي كفى

هذا القعود...»

ويلبي الناس النداء:

«وهناك...

لاح إعصار ليطوي من تجبّر

وعلت (الله أكبر)

... وعلت (الله أكبر)

رجت الناس

وهزت كل محروم فثار...

فإذا الثورة نار

إنها النار

التي صاغت على اسم الله

(اقرأ)

وأنارت كل آفاق محمد:

اقرأ، اقرأ

ملأت قلب علي

فمضى يكسر أصنام قريش...».

تتمثل الرؤية التاريخية واضحة، فالبؤس آه تصرخ: ما نفعل؟ ويأتي النداء: ثورة شعارها الله أكبر، تمضي في درب عُبِّد من قبل، بدأ باقرأ ومضى في مسار تتجدد فيه الحياة، بثورات متصلة شعارها: «**الله أكبر**»، ونتيجتها:

«**خضرة القرآن**

راحت في رؤى الشعب ربيع».

ويوجه إلى قائد هذه الثورة الإمام الخميني(رض)، بقسم يمثل تناصاً عن القرآن الكريم:

«**والفجر والعشر بالنعمى تغازله**

والشفع والوتر قد عمت فضائله

سينصر الله

(روح الله)...»

ويعي الشاعر أن الغرب يعادي هذه الثورة، فيعود إلى التاريخ الإسلامي، ويقارن صنيع الغرب بصنيع المشركين الذين أتوا يباهلون النبي(ص)، فيقول:

«**... يا أيها الفذ**

هذا الغرب باهلنا

هيا، فأنت الذي حقاً يباهله».

وهذا الفذ، «**روح من الله**»، «**هز الشعب فانطلقت**

تدك عرش الخنا

دكاً معاولــه

قد ناصر الحق لما عز ناصره

وواصل الدين لما قل واصلــه...».

وفي قصيدة «مشرق المكرمات» في شهيد الأمة، الإمام محمد باقر الصدر(رض)، يكشف عن أن العالم الفذ، يجمع العلم إلى الجهاد، فيكون «مشرق المكرمات»، يخاطب الشاعر الإمام الصدر:

... ويا ملتقى الوعي في أمتي

ويا منتدى مجدها الزاهر

جمعت

إلى العلم

نعمى الجهاد

فديناك من عالم قاهر...».

ويقرر أن إشراق الحق – النصر المتجدد يتحقق باتباع النهج:

«ستشرق بالحق

كل الربوع

وينهدّ صرح المدى

الكافر

لتهجك نهج الرسول الكريم

وتبعك

نبع الهدى

الغامر

وخطّك

خط الإمام الحسين

بما فيه من ألقٍ باهر».

تفيد قراءة هذه القصائد من ديوان الشاعر، فضلاً عما تبقى وهو: نجوى، وتسبيحة حب، والقدس، وإيمان، أن رؤية الشاعر تاريخية شاملة، فهو يرى إلى العالم من منظور الرؤية الكونية الإسلامية، ويتمثل الموضوع المركزي، في هذه المجموعة الشعرية، في

التحول الذي أحدثه، ويحدثه الإسلام في عالمي الإنسان الداخلي والخارجي، فالإسلام منذ البعثة، وفي عصره الأول، وفي كل عصر، شكل ويشكل مسار حركة تغيير وتحوّل لا تتوقف، تمضي في درب – نهج بدأ في غار حراء في «اقرأ»، ومضى في مسار لم يتوقف، إلى أن يتوج بظهور المهدي(عج).

القصائد «**شواهد شعرية قليلة**» كما وصفها الشاعر نفسه، ولعلها مختارات – نماذج من الشعر الديني – السياسي الصادر عن عيش الشاعر في فضاءات مناسبات دينية – سياسية، وقد يكون الاختيار هادفاً إلى تقديم رؤية الشاعر متكاملة، تتكامل في مسار يمر بمحطات دالة: المولد النبوي، مولد الإمام علي بن أبي طالب(ع)، مع الإمام الحسن المجتبى(ع)، في ذكرى الإمام الحسين(ع)، مولد الإمام المهدي(عج)، انتصار الثورة الإسلامية، إلى الإمام الخميني(رض) إلى الشهيد محمد باقر الصدر(رض)... فكل قصيدة تضيف إلى الرؤية ما يكملها ويبلورها؛ لهذا يمكن القول: إن هذه المجموعة قدمت رؤية الشاعر – العالم – الناشط صانع الثقافة كاملة.

تتخذ كل قصيدة من قصائد هذه المجموعة شكل قصيدة التفعيلة، وليس شكل القصيدة الخليلية، القائمة على نظام الشطرين الموزونة والمقفاة، وذلك على الرغم من أن القصائد جميعها موزونة لا تخرج على نظام العروض، ومقفاة، ويمكن أن نأخذ مثالين على ذلك، يمكن أن نعدّهما أنموذجين يكفيان للدلالة على ما نذهب إليه. نقرأ في الديوان هذه الجمل الشعرية.

«فانهضي
واهتفي
بكل انفتاحٍ
ولد النور
والهدى
والعلاء...»

وهذه الجمل يمكن أن تكتب هكذا، وفاقاً لنظام الشطرين المتبع وزناً عروضياً:

«فانهضي واهتفي بكل انفتاح   ولد النور والهدى والعلاء...»

كما أن الجمل المكتوبة هكذا:

«من ولا الطهر

ومن طهر ولانا

رقصت في مسرح الذكرى

منانا»

يمكن أن تكتب هكذا وفاقاً لنظام الشطرين المتبع وزناً عروضياً:

«من ولا الطهر، ومن طهر ولانا   رقصت في مسرح الذكرى منانا»

والملاحظ أن الشاعر يكاد يتبع تفعيلة «فاعلاتن» التي يجوز فيها «فعلاتن» المكررة في معظم قصائده، ما يجعلنا نكتفي بتقديم أنموذجين وحسب.

وفي الختام، يمكن القول: إن الشاعر كان وهو يجسد رؤيته، مؤمناً بالحق، كما يصرح بذلك:

«آمنت بالحق

أنّى كان موطنه

ولست من شبهة يوماً

بمفتون

والشمس ما ضرّها

لو أنها استترت

في مكمن للغد المأمول

ميمون».

(١) محمد علي التسخيري، أوراق وأعماق، بيروت: دار الحق، ط ١، ٢٠٠١م، ١٤٢٢هـ.